جامعة إفريقيا العالمية

المركـز الإسلامـي الإفريقـي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم - السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد رئيساً .

٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن رئيساً مناوباً.

٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله عضواً .

٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد عضواً

٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس عضواً .

٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين عضواً .

٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون عضواً مقرراً .

٨) السماني علي أحمد عضواً .

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

المحتويات

م	المـــــوضـــوع	رقم الصفحة
١.	**المحتويات**	أ
٢.	**مقدمة الكتاب**	ب
٣.	**تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد**	ج
٤.	**المدارس القرآنية ودورها في بناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا (زنجبار نموذجاً) (د. عيسى الحاج زيدي –تنزانيا)**	١ ـ ٣٩
٥.	**مؤسسات تعليم القرآن الكريم في كوت ديفوار (د. بامبا يوسف- ساحل العاج)**	٤١ ـ ٨٦
٦.	**الخلاوي ودورها في تعليم القرآن الكريم في السودان (خلاوي الغبش نموذجاً) (د. محمد النابر علي النابر- السودان)**	٨٧ ـ ١٢٥
٧.	**نظم تعليم القرآن الكريم وعلومه في منطقة جنوب شرق آسيا (د. عثمان محمد عثمان)- السودان-**	١٢٧ ـ ١٦٥
٨.	**نظام التعليم القرآني الحديث ودوره في إجادة القراءة وفهم القرآن في نيجيريا (د. ثاني موسى أياغي- نيجيريا)**	١٦٧ ـ ١٩٠
٩.	**الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم** (دراسة خاصة بصناعة الوازع وآثارها في التشريع الإسلامي) **(د.عز الدين كنشيط –الجزائر)**	١٩١ ـ ٢٢٧
١٠.	**أثر القرآن الكريم في لغات الشعوب الناطقة بغير العربية (دراسة خاصة بلغة الهوسا)**	٢٢٩ ـ ٢٤٧

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

	(أيوب شيخ أحمد الرفاعي- نيجيريا)	
١١.	Was Prophet Muhammad the "Author" of the Qur'an? (Jamal A. Badawi - Canada)	**21 - 46**
١٢.	QURANIC STUDIES AND GOVERNMENT POLICIES IN NORTHERN NIGERIA(A HISTORICAL POINT OF VIEW) (Dr. Muhammad Kyari – Nigeria)	**1 - 20**

(أ)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحهاً لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.

ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

(ب)

تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير . عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام . نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(ج)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة للّه، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان—وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياَ وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

وأنا ، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته ، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً ، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

جامعة إفريقيا العالمية International University of Africa IUA

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

المدارس القرآنية ودورها في بناء الثقافة الإسلامية

في شرق أفريقيا

(زنجبارنموذجاً)

المحور الثاني: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

(العلوم الإنسانية)

إعداد:

الدكتور عيسى الحاج زيدي

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

محاضر بكلية التربية - جامعة زنجبار – تنزانيا

ihziddy@yahoo.com

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

ملخص البحث:

تبين هذه الورقة البحثية أنشطة المدارس القرآنية ودورها في بناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا. كما تظهر المراحل المبكرة لانتشار هذه المدارس في الساحل الشرقي من هذه القارة وكيف واجهت هذه المدارس الجديدة الثقافات المحلية التقليدية الموروثة للسكان الأصليين المقيمين بالمنطقة وكيف اندمجت معها. فتظهر الورقة كيف تمكنت المدارس من اجتياز إشكاليات الملاءمة والامتزاج والالتقاء بين رسالتها الإسلامية الوافدة من جهات شبه الجزيرة العربية و الثقافة المحلية الإفريقية التي استقرت في شرق إفريقيا منذ القدم. ونتيجة لهذا الانصهار ظهرت ثقافة جديدة ذات ملامح عربية وإفريقية مشتركة على الساحل الإفريقي شرقاً، والتي تدين بالإسلام وتكتب بحروف اللغة العربية.

وقد نشطت الأعمال التعليمية والتثقيفية لهذه المدارس في زنجبار بشرق إفريقيا حتى أصبحت تسيطر على المنطقة كلها قبل ظهور الحركات الاستعمارية والتبشيرية، وقبل دخول أية مؤسسة تعليمية أجنبية أوربية. ولم توجد مدينة ساحلية إلا وقد انتشرت فيها المدارس القرآنية. وقد اعتمد عليها الأهالي كمراكز، للتنوير ونشر معاملاتهم الاقتصادية والدينية والاجتماعية والإدارية والفنية والمعمارية. فأصبح مدرسو المدارس القرآنية ومتخرجوها وجهاء محترمين يقودون حركات توجيه وتنوير مجتمعاتهم في المنطقة، وتشير هذه الدراسة أيضا إلى الدور الآخر الذي كانت تقوم به المدارس

القرآنية وهو إعداد و إفساح المجال للعلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية لإبراز دورهم في نشر الإسلام عقيدةً ومبادئ سمحة وثقافة مضيئة في المنطقة.

وتركز الدراسة من خلال توضيحها لهذه الأنشطة على الوثائق والمخطوطات الموجودة في دار الوثائق في زنجبار وأماكن أخرى تتوافر فيها مثل هذه المخطوطات كالمكتبات العامة والخاصة.

Abstract:

The Role of Qur'anic Schools in the establishment of Islamic Culture in East Africa (Zanzibar as a sample)

This study is intended to investigate the activities of the Qur'anic schools and their role in the wake of establishment of Islamic culture in East Africa. The paper tries to trace back since infantile stage of these schools in the region. How they struggled and survived against the local inherited traditional culture of the people. How they managed to intermingle with them. How they managed to spread their Islamic messages from Arabia in the rooted local African culture. How this interaction led to the establishment of a new culture "*Afrabia*" that embraced Islam and Arabic scripts?

Qur'anic schools dominated educational and cultural spheres before the introduction of the colonial and missionary activities and the establishment of any Western educational institution in Zanzibar in particular and other coastal towns of East Africa in general. The people interpret these schools as their guidance centres for daily economic, business, religion, worship and administrative activities. Teachers and graduates of these schools were respected, and they worked as consultants of the society.

The study also underlines the crucial role played by the Qur'anic schools as they were used as primary training centres

for scholars in *Fiqhi, Tasawuf* and propagation of Islam and Islamic culture.

In the course of discussion, the study concentrates on analyzing and reviewing manuscripts and documents that are available in Zanzibar National Archives and other areas such as public and private libraries.

المقدمة:

تتمتع المدارس القرآنية بوضع متميز على خريطة المؤسسات الأهلية والتعليمية والتربوية في زنجبار خاصة وشرق إفريقيا عامة. فقد استقرت المدارس القرآنية فيها منذ وقت طويل يسبق دخول أية مؤسسة أخرى من المؤسسات التعليمية الأجنبية الأوروبية إلى المنطقة، وقد تخرج منها عدد كبير من الزنجباريين وانتشرت بينهم وبين شعوب شرق إفريقيا انتشارا واسعا. وفي السطور التالية تتناول هذه الورقة البحثية وضع المدارس القرآنية في زنجبار، حيث بدأ الجزء الأول منها بإلقاء الضوء على الخلفية التاريخية لانتشارها (مراحل الانتشار، عوامل الانتشار ومعوقات انتشارها). ثم تطرقت الدراسة بعد ذلك إلى الجزء الثاني لتتناول أنشطة المدارس القرآنية، ودورها وأثرها في بناء الثقافة الإسلامية في زنجبار في مجالات مختلفة. واختتمت الورقة بالخاتمة.

المبحث الأول: خلفية تاريخية لانتشار المدارس القرآنية في زنجبار:

نبذة عن زنجبار :

تتكون زنجبار من عدد من الجزر ، تقع في المحيط الهندي على بعد عشرين ميلاً بحريا من الساحل الإفريقي الشرقي ، أكبر هذه الجزر جزيرتان هما أنغوجا (Unguja) ، وبيمبا (Pemba) . وتبلغ مساحة الأولى نحو ٦٤٠ ميلاً مربعاً ، وتبلغ الأخرى ٣٨٠ ميلاً مربعاً .

خضعت زنجبار لحكم زعماء محليين عرفوا ب: (Mwinyi Mkuu /Wakuu wa Miji / Masheha) وكانوا من ذوي أصول إفريقية وعربية وشيرازية. ولا غرابة

لتولي هؤلاء الزعماء ذوي الأصول المذكورة، وذلك لأن الدراسات التاريخية والأثرية تؤكد أن علاقة زنجبار وشرق إفريقيا بجزيرة العرب والشرق الأوسط بدأت قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة. ومن هذه الدراسات ما تقول: "إن علاقة العرب بشرق إفريقيا كانت منذ بداية التاريخ. إن الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، لا بد وأنه اتصل بالضرورة ومنذ الحقب التاريخية الأولى بشرق إفريقيا وذلك لحاجة السكان العرب في الحصول على الذرة والأرز والخشب والعاج من شرق إفريقيا.... إن وجود حالات الهجرة المحددة التي سجلها التاريخ، ووجود السلطنات والإمارات العربية والفارسية على طول ساحل شرق إفريقيا ، كان نتيجة فورية في حالات للهجرة"[1]، وتذكر بعض الدراسات أن أسباب هذه الهجرات هي الاضطهادات والحروب بين بعض قبائل شبه الجزيرة العربية. فأصبح ساحل إفريقيا الشرقي بجواره الجغرافي بينه وبين شبه الجزيرة العربية الأقليم المفضل لإيواء العرب الذين يفرون من الضغط السياسي أو الديني أو الاقتصادي.

وقد انقرضت سلطات هذه الممالك في القرن ١٦ و١٧ الميلاديين حيث بدأ غزو البرتغاليين للمنطقة بقيادة فاسكو دي غاما "Vasco Degama" في عام ١٤٩٨م حيث هدمت المدن ومعظم الآثار المحلية والعربية والإسلامية في المنطقة وأتموا سيطرتهم على المنطقة عام ١٥٠٣م باعتراف سكان الجزيرة بسلطة البرتغال على جزيرة زنجبار ووافقوا على دفع جزية سنوية وأجبروا الناس على اعتناق المسيحية وبنوا أول كنيسة في زنجبار في منطقة فروضان "Forodhani".[2]

وفي منتصف القرن ١٨م أصبحت زنجبارتتوحد تحت حكم العمانيين البوسعيديين وحدهم. وفي عام ١٨٩٠م دخلت تحت قبضة المستعمر الإنجليزي بدعوى حمايتها من الألمانيين الذين كانوا يستعمرون دولة تنغانيقا المجاورة. فلم يكن للسلاطين دور يذكر في قيادة البلد بل أصبحوا كمستشارين للمستعمر في الأمور التي تتعلق بأحوال المواطنين. وشهدت زنجبار بعد الثورة الانقلابية لعام ١٩٦٤م حكم الأفارقة والشيرازيين الذين أدخلوا زنجبار في دولة تنغانيقا، حيث ولدت دولة جديدة سميت جمهورية تنزانيا الاتحادية مع بقاء بعض مظاهر السيادة لزنجبار كما هو الحال إلى اليوم.

دخول الإسلام في زنجبار:

دخل الإسلام زنجبار في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) وذلك بفضل المهاجرين الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا من الجزيرة العربية وخاصة بعد خسران ثورتهم التي قاموا بها ضد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان وذلك في عام ٦٩٥م، (٦٥هـ[3] . كان لهؤلاء المهاجرين مع أتباعهم السبق في نشر الإسلام وثقافته، ومن ضمنها إنشاء المؤسسات التي قامت بتعليم القرآن الكريم للمسلمين في شرق إفريقيا. والواقع أن الأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة الإسلامية لعبت دورا كبيرا في دفع الكثيرين للهجرة. واتجهت بعض هذه الهجرات إلي سواحل إفريقيا الشرقية[4] . وكانت من أهم المناطق التي تأثرت بهذه الظواهر هي إريتريا والصومال وزنجبار إلي مناطق الجنوب من خط الاستواء[5].

ولقد توالت هجرات المسلمين العرب بصفة مستمرة وفي أعداد متفاوتة وانضموا إلي من سبقهم من المهاجرين لتنشيط عملية تأسيس المدن العربية والإسلامية في المنطقة. وأشهر هذه المدن مدينة زنجبار والتي صارت فيما بعد نواة لنشأة الحضارة الإسلامية والمدن العربية الأخري علي طول الساحل الشرقي لإفريقيا. ولا شك أن الهجرات العربية في القرن السابع الميلادي كانت أبرز الهجرات التي شهدها الساحل وأهمها تأثيرا في تاريخه لكونها حملت الرسالة القرآنية التي ليس لها مثيل في العالم القديم والحديث.

ومن المهاجرين الذين وصلوا إلى زنجبار الزيديون، والنبهانيون، واليعربيون العمانيون، والبوسعيديون الذين كانت لهم الولاية والسيـــادة في الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ولشرق إفريقيا بعد الهجرة. وعندما نقل سلطان سعيد البوسعيدي العماني عاصمة سلطنته من عمان إلى زنجبار عام ١٨٣٢م بلغت هذه الهجرات ذروتها حيث كان يأتي إلى زنجبار أفواج من المسلمين .

غرس هؤلاء المهاجرون بذرة الإسلام إيماناً وعبادة ومعاملة وثقافة في قلوب المواطنين الأفارقة الذين كانوا يعتنقون الأديان المحلية وأغلبها الوثنية. فنبتت تلك البذرة بعون الله وقدرته وانتشر الإسلام في زنجبار أولا فوصلت نسبة المسلمين إلى (٩٩%)، ثم انتقلت تعاليمه وثقافته وكتابه إلي المناطق الساحلية ثم الداخلية لشرق إفريقيا. هكذا انتشر الإسلام في زنجبار وفي مناطق أخرى لشرق إفريقيا فأصبح الإسلام في هذه البلاد عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقا وحضارة وشعارا وثقافة ومظهرا ولغة. وقد استمدت كلها من القرآن الكريم. فدخل الناس في الإسلام أفواجاً

، وبنيت المساجد ومدارس القرآن لتكون مراكز للثقافة الإسلامية والحركات التعليمية والدعوية. فكان لزنجبار صيت في العالم الإسلامي وقد اعتبرت محطة لنقل الثقافة الإسلامية إلى داخل إفريقيا بل والعالم.

وبقي الحال هكذا إلى عام ١٩٦٤م حينما حدثت ثورة دموية تبعها تطبيق سياسة اشتراكية / شيوعية صارمة في زنجبار. ولقد شهدت السنوات الأولى (١٩٦٤ – ١٩٧٢) لهذه الثورة تطبيقا لسياسات معادية للإسلام. فقد تم إغلاق جميع المراكز والمدارس والمعاهد التي قامت بنشر الثقافة الإسلامية، كما تم إلغاء مناهج التربية الإسلامية والقرآن الكريم واللغة العربية في المدارس الحكومية التي بدأت تدريسها منذ عام ١٩٠٥م. وتبع ذلك إتلاف مع حرق الكتب التي كتبت باللغة العربية، وطرد الشيوخ والعلماء ومدرسو القرآن الكريم، كما منع الباقون من ممارسة التدريس[6]. ففقدت زنجبار بذلك دورها الريادي ومكانتها التاريخية لنشر القرآن والحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا بعد أن أخفيت ثقافتها ومظاهرها وسبل انتشارها بين شعوب هذه المنطقة.

بدأت زنجبار تنهض من جديد وتسترجع دورها السيادي في مجال نشر تعليم الإسلام والحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا بعد وفاة الرئيس الأول لزنجبار عبيد كرومي (Abeid Karume) وتولي الحاج عبود جومبي (Aboud Jumbe) مقاليد الحكم عام ١٩٧٢م. وتتميز هذه المرحلة بإحياء الإسلام والقرآن الكريم من جوانب شتى منها: إعادة فتح المعهد الإسلامي الذي تم إغلاقه عام ١٩٦٤م، وإرجاع مناهج وحصص القرآن الكريم والتربية الإسلامية في المدارس الحكومية، وإعادة فتح

قنوات الاتصال والتعاون بين الحكومة والدول الإسلامية (التي تم سدها في عهد الحكومة السابقة) من جهة وبينها وبين ما بقي من العلماء ومدرسي القرآن الكريم من جهة أخرى. ومن مظاهر هذه النهضة الجديدة للإسلام في زنجبار قبول بعثات المعلمين لتدريس الإسلام في زنجبار وخاصة في المعهد الإسلامي وفي بعض المدارس الثانوية، وإرسال بعثات الطلاب الزنجباريين لدراسة الدين والقرآن الكريم وعلومه واللغة العربية في الدول الإسلامية والعربية وذلك مثل السودان ومصر والسعودية وغيرها، وفتح مكاتب المنظمات الإسلامية المحلية وغير المحلية التي تعمل على إحياء الإسلام واللغة العربية بين الزنجباريين. ومن أولى هذه المنظمات منظمة الدعوة الإسلامية، والمنظمة الخيرية لرعاية الطفولة والأمومة، ومنظمة العون المباشر (لجنة مسلمي إفريقيا)، ودار الإيمان الخيرية وغيرها.

نشأة المدارس القرآنية في زنجبار:

إن من المسلمات الأساسية فيما يتعلق بزنجبار أنها دولة مسلمة وأن معظم سكانها يعتقدون أن التحاق أولادهم بالمدارس القرآنية واجب من الواجبات التي يفرضها عليهم الدين الإسلامي نحو أبنائهم. ومن هذا المنطلق، يتفق جميع الباحثين وعلماء التربية الإسلامية في شرق إفريقيا على أن المدارس القرآنية هي أساس كل نوع من أنواع التربية والتعليم لأبناء وبنات زنجبار. وليس هناك باحث أو عالم يعارض حقيقة أن المدارس القرآنية هي النواة لكل مجالات وتخصصات التعليم الإسلامي. وأن لمدارس القرآن مساهمات واضحة لتطوير المؤسسات التعليمية الإسلامية مثل المساجد، والدروس، والمعاهد، والزوايا، وحتى الجامعات الإسلامية

الحديثة. لقد استخدمت هذه المؤسسات كأدوات لنقل التعليم الإسلامي من جيل إلى جيل على مر العصور.

لقد بدأت عملية إنشاء المدارس القرآنية في زنجبار فور وصول الإسلام إليها وبعد أن تأكد المسلمون القدامى أن العملية التعليمية عملية جماعية وليست فردية. ومن هنا لوحظت أهمية إنشاء هذه المدارس كما لوحظت أهمية وجود المعلمين الدائمين الذين سيقومون بوظيفة تدريب الأطفال على تلاوة القرآن التي تسبقها معرفة ترجمة رموز وحروف عربية مرئية إلى مدلولاتها الصوتية الصحيحة. وظهر بعد هذه الملاحظات إشكالية المقررات التي سيتم اتباعها والمناهج الدراسية التي ستطبق وطرق التدريس التي ستتبع. ولعل هذه الإشكالية ظهرت بعد أن شوهدت الارتباطات القوية الموجودة بين الدين الإسلامي الذي يمثله القرآن الكريم من جهة واللغة العربية من جهة أخرى. فأصبحت اللغة العربية والدين الإسلامي يسيران جنبا إلى جنب مما زاد أهميتهما جميعا إذ إن معرفة أحدهما تعتمد على معرفة الثاني. وهكذا بدأت هذه المدارس تشق طريقها عفويا في بداية الأمر مما فتح الباب للنقد والمناقشة والحذف والإضافة. وبالرغم من ذلك كله أصبحت المدارس القرآنية ظاهرة حقيقية في زنجبار وكان لزاما كذلك أن يعتمد عليها الآباء ويتخذوها أمرا واقعيا يقتضي منهم تأكيد وجودها وتحقيق استمراريتها.

وعلى الرغم من هذا المخاض العسير لمدارس القرآن في زنجبار إلا أنها ولدت حية وقوية حتى تمكنت من أن تتبع والدها (الإسلام) وتسير معه رجلا برجل وتتجاوز العقبات التي تواجهها وتنتشر في كل مكان انتشر فيه الإسلام.

وتؤكد المقتطفات التالية من الوثائق والبحوث والدراسات المختلفة أمورا مهمة حول نشأة توأمية بين الإسلام ومدارس القرآن في زنجبار غير أن الأول هو الهدف والثانية وسيلة لتحقيق ذلك الهدف.

"وصل المسلم الأول في زنجبار بين القرن الثامن والعاشر للميلاد، وتم إنشاء المدارس القرآنية فور وصوله... لقد وجدت المدارس القرآنية وكانت تلعب دورا مؤثرا في كل نواحي المجتمع. كانت هي المؤسسة الأولى للتدريب بين الناس. لقد استطاعت المدارس القرآنية ومدرسوها أن يؤثروا على تطور التعليم الحكومي والتبشيري في زنجبار"[7].

"توجد مدارس قرآنية كثيرة في مدينة زنجبار وفي كل قرية فيها. معظم مدرسي القرآن في زنجبار يستطيعون أن يحفظوا ويتلوا القرآن ويدرسوا حروف اللغة العربية دون أن تكون لديهم معرفة واسعة باللغة العربية"[8].

"إن تاريخ المدارس القرآنية طويل جدا في زنجبار وتعتبر الأسر المسلمة أنها هي الخطوة الأولى للتعليم الرسمي. لقد تعلم معظم الزنجباريين القراءة والكتابة بالحروف العربية في هذه المدارس إلى بداية القرن العشرين، عندما أبدلت الحروف العربية بالحروف اللاتينية... ويعتبر الآباء إرسال أطفالهم إلى هذه المدارس أمرا دينياً يجب تنفيذه لكي يصلح الطفل والمجتمع"[9].

"مدارس القرآن الكريم هي الأساس الأول للمدارس الإسلامية ونظام التعليم في زنجبار حيث تدرس فيها المهارت الأساسية مثل تحفيظ القرآن"[10].

"يقوم معلم القرآن بالتدريس في المدارس الحكومية التي توجد في القرى... يعيش هؤلاء المعلمون في نفس القرى وقد تم اختيارهم من قبل أهل تلك القرى. وبما أنهم منها فتوجد بيوتهم وحقولهم فيها. وفي معظم الأوقات لا يستطيعون أن يدرسوا شيئا آخر غير القرآن... ولكن الآباء يحترمونهم كثيرا لأنه في نظرهم أن أولادهم لا يزالون صغارا فلا يتوقعون أن يتعلموا شيئا غير القرآن"[11].

"وعلى كل حال لقد عمل مدرسو القرآن الكريم مع المعلمين المتدربين أعمالا حسنة. وأبدى معظمهم الرغبة في أن يستفيدوا من زملائهم المتدربين"[12].

"إن أساس التربية والتعليم في زنجبار يقوم على المدارس القرآنية. وتنتشر اليوم مئات المدارس في كل قرية من قرى زنجبار مما تجعلها أساس التربية بين معظم السكان"[13].

"إن ظاهرة انتشار التعليم الإسلامي في زنجبار بدأت بافتتاح المداس القرآنية والدروس الدينية فى القرى والمدن. لقد أنشئت المدارس القرآنية في وقت مبكر لانتشار الإسلام في زنجبار وفي المناطق الساحلية لشرق إفريقيا وخاصة في القرن العاشر الميلادي"[14].

"تتبع معظم الأسر في زنجبار العادة التي ترسخت قديما وهي إلحاق بناتهم كما يفعل إخوانهم بالمداس القرآنية ليتعلمن تلاوة القرآن"[15].

"...ثم بعد ذلك تأتي المدارس القرآنية حيث إن الطفل يتعلم تلاوة وقراءة القرآن دون أن يفهم ما يقرؤه. إن تمكن الطفل من تلاوة كلام الله يعتبر أمرا في

غاية الأهمية، أو من ضمن الأهداف المقصودة، كما أنها قد تتخذ وسيلة لتعليم اللغة العربية وفروع أخرى للعلوم الإسلامية"[16].

"يتعلم الطلاب حاليا تلاوة القرآن بصورتها الصحيحة ومعرفة المعاني العامة للآيات المقروءة"[17].

"بما أن رغبة كل مسلم هي أن يختم طفله القرآن، فتكون أول فكرة تدور في ذهنه هي إرساله إلى إحدى هذه المدارس التي بعضها مختلطة بين البنات والأولاد، وبعضها للذكور وأخرى للإناث. فإذا وصل الطفل ست سنوات يختار له معلم يعلمه القرآن"[18].

وبعد الاطلاع على هذه الدراسات والوثائق والبحوث وغيرها يتضح للقارئ أن التربية القرآنية ومدارس القرآن الكريم قديمة في زنجبار وقد كانت وما تزال منبعا وأساسا للتربية الإسلامية بل والتربية العامة قبل أن يتم إنشاء التعليم التبشيري أو الحكومي. وبأهميتها يعتقد الآباء في زنجبار أن الطفل الذي يبدأ طريقه التعليمي بالمدارس القرآنية يكون أقوى ويفهم أكثر من غيره الذي لم يمر عليها حينما يلتحق بالمدارس الحكومية. ولعل هذا الاعتقاد يحتاج إلى دراسة علمية لتثبيته.

انتشار المدارس القرآنية في زنجبار:

لقد انتشرت المدارس القرآنية في كل مدن وقرى زنجبار قبل القرن ١٩ و٢٠م. وكانت تعطي التعليم الأولي لجميع السكان. وغالبا ما يصاحب ازدياد وانتشار المدارس ازدياد في عدد السكان وتوسع في عدد القرى والمدن. فكلما ازداد عدد السكان ارتفع عدد المدارس القرآنية رأسيا وكلما ازدادت وتوسعت

مدن وقرى جديدة ارتفع عدد المدارس أفقيا. وهذا تثبته دراسات مختلفة أجريت في زمان وأعوام مختلفة.

يشير تقرير وزارة التربية والتعليم في زنجبار لعام ١٩٤٠م إلى أن عدد مدارس القرآن في زنجبار كان (٨٧٦) مدرسة ضمت (٦٢٣١) طالب وطالبة [19]. وارتفع عدد هذه المدارس في عام ١٩٤٢م ليصل إلى (٩١٨) مدرسة كما ارتفع عدد طلابها إلى (٦٧٧٠)، وكان عدد الأولاد فيها (٥٢٠٦) وعدد البنات (١٥٦٤) طالبة[20]، وكان هذا الارتفاع أمرا مفاجئا بالنسبة للمستعمر الذي كان يتوقع هبوط عدد الطلاب في المدارس القرآنية ليصل إلى أدنى مستوى بسبب تعديلات جديدة أدخلت في السياسات التعليمية والتي تنص على إدماج المدارس القرآنية في التعليم الرسمي لزنجبار وذلك بضم المدارس الموجودة ومعلميها لتشكل الفصول الأولية في المداس الحكومة. واصلت هذه المدارس انتشارها إلى أن بلغ عددها (١٧٣٧) مدرسة في عام ٢٠٠٠م لتدرس وقتها ثلث سكان زنجبار والذين كان عددهم يقدر بمليون نسمة. وهذا يعني أن لمدارس القرآن في زنجبار أهمية خاصة بين المواطنين إذ يشير هذا العدد إلى أن هناك مدرسة واحدة لكل (٥٧٦) مواطن مما يعني أن انتشارها كان واسعا وجذبها بين المواطنين قويا.

ويذكر معلم محمد إدريس[21]. أنه لا يمكن أن يتم سرد أو بحث عن تاريخ الإسلام في زنجبار دون أن يتناول الباحث من خلال دراسته موضوع انتشار المدارس القرآنية فيها. يعتقد معلم إدريس أن مدارس القرآن هي التي ساهمت في

نشر الإسلام نفسه وخاصة في الأماكن الداخلية لزنجبار والتي لم يصل إليها المهاجرون الأوائل بل لعب الأهالي فيها دورا عظيما بدأ بإنشاء المساجد ثم إنشاء المدارس القرآنية. وقد حاول هذا المعلم أن يوثق لهذا الانتشار ولكنه لم يصل بعيدا. ويقول في مقدمة وثيقته الآتي: "والحقيقة الواضحة أنه لا يمكن أن يكتمل تاريخ الإسلام في زنجبار إذا تناسى الناس ذكر موضوع معلمي مدارس القرآن وعمل هذه المدارس وأماكن وجودها. إن لهؤلاء الشيوخ ومدارسهم دورا عظيما في غرس بذور الإيمان في نفوس أولاد زنجبار الذين بدورهم نفذوا مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه آبائهم ومجتمعهم ودولتهم. فأصبحوا علماء بارزين في زنجبار وشرق إفريقيا وغيرها. ويعود فضل كل ذلك إلى المدارس القرآنية والدروس الإضافية التي كانت تتخذ داخل تلك المدارس أو بيوت المعلمين أو في المساجد بين صلاة المغرب والعشاء. فمن واجب كل من ينتمي إلى زنجبار أن يضبط ويحفظ ويوثق لهذه المدارس ومعلميها لكي تكون آية وعبرة لمن يأتون من بعدنا لغرض معرفة المجهودات التي بذلت في سبيل نشر الإسلام. وليروا كيف سيواصلون هذه المسيرة لتصل الأجيال اللاحقة بهذا التاريخ. ومن الصعوبة بمكان أن نتمكن من ضبط وتوثيق المدارس والعلماء الذين كانوا في الجيل الأول للإسلام في زنجبار أو أن نحصر عدد مدارسهم القرآنية وكيفية انتشارها وخاصة في الأماكن النائية أو في الجزر المجاورة لجزيرة أنغوجا أو بيمبا مثل جزيرة: (Tumbatu، وUzi، وKojani، وMakoongwe، وKisiwa Panza)، وغيرها من الجزر أو القرى التي وصل إليها الإسلام قبل أن يصل إلى مدينة زنجبار وذلك مثل: (Unguja Ukuu، وKizimkazi،

وMkumbuu). وقد تمكن الباحث من أن يجد أسماء بعض المدارس المشهورة التي كانت توجد في مدن وقرى زنجبار مثل: (Fuoni، وMakunduchi، و Dunga وKiangale، وMwera، وUkutani، وWete، وMkoani، وBumbwini)، وغيرها من الأماكن التي انتشرت فيها المدارس القرآنية ولعبت دورا كبيرا في تثقيف وتهذيب وتدريب وتعليم الطلاب الذين التحقوا بها.

تطور المدارس القرآنية في زنجبار وأنواعها:

يمكن تقسيم هذه المدارس على حسب نوع معلميها كما فعلت Benyan S. Turki [22] حينما قالت: "توجد ثلاثة أنواع لمدارس القرآن في زنجبار وهي مدرسة يدرِّس فيها رجل أفريقي، ومدرسة يدرس فيها رجل عربي، ومدرسة تعلم فيها امرأة عربية أو إفريقية. وغالبا ما تدرس في مدارس النوع الثالث منها وهي قليلة زوجة المعلم، أو المعلمة التي زوجها توفى فتأخذ مكانه إذا كانت تعرف القرآن. واستطاعت المعلمات أن يدرسن لكل من الأولاد والبنات معا. ويعتقد الزنجباريون أن المعلمة هي التي تصلح لتعليم الأطفال الصغار بسبب شفقتها وأنها أكثر رحمة من المعلمين الذكور". وتستمر Benyan في قولها "توجد مدارس قرآنية قليلة للرجل العربي إذا قورنت بالرجل الإفريقي، وغالبا ما توجد في المدينة. أما المدارس القرآنية التي يعلم فيها الرجل الإفريقي فقد توجد في كل من المدينة وفي القرى. وأغلب هؤلاء المعلمين الأفارقة كانوا من أئمة المساجد أو طلاب للعلم تحت أيدي الشيوخ".

قد يلاحظ القارئ في الوهلة الأولى، غرابة هذا التقسيم نوعا ما حتى يتسنى له أن يعرف أن زنجبار بلد يعيش الناس فيه مسلمين من كل قبيلة ولون. فيوجد فيهم إفريقي بانتوي ، وعربي خليجي وحضرمي وعماني، وفارسي وشيرازي، ومنهم خليط الدم مزيج اللون، بين هذا وذاك، كما تعيش كذلك أقوام أخرى من شبه القارة الهندية ومن الشرق الأقصى والصين وغيرها. وبالرغم من أن الإسلام ألف بين قلوبهم إلا أن بعض هذه الطوائف كانت لها مدارس قرآنية خاصة بهم كما كانت لديهم أشياء أخرى كذلك. إلا أن هذا الوضع قد قل ظهوره وخاصة بعد الثورة التي طبقت السياسة التعميمية والاشتراكية في أولى سنواتها.

وهناك تقسيم آخر لأنواع المدارس القرآنية في زنجبار باعتبار بنياتها التحتية ومبانيها وإداراتها ومستواها التعليمي ومدخلاتها التعليمية مثل نوعية المعلمين والمقررات الدراسية والمواد التي تدرس، والمناهج وطرق التدريس والوسائل التعليمية وكيفية تقويم الطلاب وإيجاد الشهادات أو عدمها وغيرها. ويمكن أن تلاحظ ثلاثة أنواع للمدارس القرآنية من هذ التقسيم وهي: المدارس التقليدية والمدارس شبه التقليدية والمدارس المتطورة، وتفصيلها كالأتي:

١: **المدارس القرآنية التقليدية:** هي التي تهدف إلى تدريس القرآن الكريم فقط. وتركت الباب مفتوحاً للمؤسسات الإسلامية التعليمية الأخرى مثل المساجد لتقوم بتدريس مواد وموضوعات أخرى مثل تفسير القرآن

والحديث والسيرة وغيرها من المواد. واستمرت هذه المدارس تؤدي واجبها المنوط بها في المجتمع إلى أن جاء المستعمر الإنجليزي عام ١٨٩٠ وتنشيط المدارس التبشيرية في زنجبار. ومن هنا بدأ الناس يسمعون النقد الذي يوجه إلى المدارس القرآنية التي اعتمدوا عليها قرونا عديدة. ومن الميادين التي جوبهت بالنقد هي:

أ) **المباني والفصول:** لقد اعتبر المستعمر المباني التي تحمل فصول المدارس القرآنية تفتقر إلى أصول الصحة العامة وغير لائقة من الناحية التربوية. حيث وجد في معظم المدارس طلابا يفترشون الأرض بأعداد كبيرة وليس لديهم مقاعد. بل يجلسون بشكل دائري ويقرأ كل واحد منهم سورته التي كتبت على اللوح الخشبي بصوت عال أمام المعلم الذي يجلس على الكرسي أو السرير أو البساط ويحمل المصحف في يد واحدة والعصا في يده الأخرى. وهذا يعني أنه لا وجود للفصول الدراسية المنظمة بمنظور النظام والمقاييس البريطانية.

ب) **طرق التدريس:** من المعروف أن المدارس القرآنية في زنجبار استخدمت منذ إنشائها طريقة التكرار والحفظ والاستظهار. لقد ساعدت هذه الطريقة الطلاب على أن يحفظوا القرآن ويتلوه تلاوة مجودة. لقد انتقد المستعمر هذه الطريقة واعتبرها طريقة بدائية وقال في إحدى انتقاداته لها: "لا يمكن أن تصدق كيف يتم تدريس الطلاب بهذه الصورة. لا يفهم الطالب أية كلمة من الكلمات التي يدرسها ويطالب

بقراءتها. والغريب أن هذه الكلمات التي يكررونها كالببغاء عربية، ولغتهم الأم السواحلية"[23].

ج) **الوسائل التعليمية:** استخدمت هذه المدارس منذ إنشائها الأدوات المحلية مثل الحبر المحلي المصنوع من الفحم والأقلام المصنوعة من أشجار جوز الهند واللوحات الخشبية لكتابة الأحرف أو السور أو الآيات، وأخيرا استخدم الطلاب الميسورون المصاحف والأجزاء (جزء عم). فاعتبر الإنجليز هذه الوسائل لا تجذب انتباه الطلاب للدراسة لأنها تبعث الملل ولا توقظ رغبتهم ولا ميولهم للاستطلاع كما تفتقر إلى النشاطات.

وهكذا تم نقد هذه المدارس القرآنية حتى تناول النقد قوانين الالتحاق، والمقررات الدراسية، ومستوى المعلمين ولوائح العمل والرواتب، وأساليب معاقبة الطلاب وغيرها. وبالرغم من أن النقد كان عنيفا إلا أن هذه المدارس لم تفقد أملها بل بقيت قوية تقود مسيرة تدريب أبناء المسلمين دون أن تصغي بأذنها لما يدور في محيطها. وعلى هذا الأساس بدأت المدارس القرآنية تقبل بعض التغيير لكي تواكب الزمن وخاصة بعد أن أنشئت المدارس الحكومية في عام ١٩٠٧م. فاختلفت سرعة التحديث بين مدرسة وأخرى مما أنتج نوعين آخرين من المدارس كما ذكرناها سابقا. وفيما يلي توضيح موجز للنوع الثاني والثالث.

٢: **المدارس القرآنية شبه التقليدية:** وهي التي أدخلت بعض التعديلات في المقررات الدراسية وطرق التدريس والمباني وطرق معالجة أخطاء الطلاب. ومعظم هذه المدارس توجد في بعض القرى إلى يومنا هذا.

٣: **أما المدارس القرآنية المتطورة:** فهي التي قبلت التغيير، ومواكبة الزمن مع بقاء دورها الأساسي وهو تدريس وتعليم الطلاب القرآن الكريم. لقد فتحت هذه المدارس أبوابها للتطورات التي تحدث في المجالات المعرفية مادية كانت أومعنوية بشرط ألا تتعارض مع الإسلام. يوجد هذا النوع من المدارس فى المدن الكبيرة وفي مراكز الأقاليم كما تقول إحدى الدراسات:"... توجد بعض المحاولات التي يقودها رواد التحديث والتطوير من بعض المدارس لإدخال الطرق الحديثة والمواد الجديدة والكتب المعاصرة التي تعتبر أولوية في الوقت الحاضر"[24].

ويعتبر الشيخ محمد عبيد الذي عاش في منطقة Koani من الرواد الأوائل لهذا التجديد أو التغيير أو التحديث أو التطوير. فقد وضع هذا الشيخ مشروعا متكاملا لتحسين أوضاع المدارس القرآنية وطلب معاونة معلمي المدارس القرآنية في تنفيذ هذا المشرع. وارتكز مشروعه التطويري على "أن يتم اختيار معلمي المدارس القرآنية عن طريق الاختبارات التي ستعطي الضوء الأخضر حول مستوى المعلمين، فإذا نجحت مدرسته سيعطى المساعدات من إدارة الأوقاف لغرض ترميم المدرسة وذلك بوضع الأسمنت على الأرض، وشراء البساط مع إعطائه بعض التعويضات / المشاهرة" [25]. لم يهدف مشروع التطوير هذا إلى إهمال المدارس التقليدية بل سمح لها أن تعمل ونالت بعض

المساعدات من الحكومة. عمدت الحكومة من خلال هذا التطوير إلى وضع النظام التعليمي الذي يسمح بأن تكون المدارس القرآنية جزءا من التعليم الحكومي الأساسي. لقد جاءت هذه الفكرة بعد أن فشلت كل محاولات الحكومة التي بدأت قبل عام ١٩٣٩ والتي هدفت إلى تحقيق الموت الطبيعي لمدارس القرآن. لم يعرف المستعمر من قبل النفوذ الذي يتمتع به معلم مدرسة القرآن وأن مدرسته تعني حياته وحياة المجتمع المسلم كله.

ويستخلص الجزء الأول من الدراسة بالتلميح حول بعض التحديثات التي أضيفت إلى المدارس القرآنية التقليدية لتصبح مدارس قرآنية متطورة شجعت قطاعاً كبيراً من الزنجباريين ليصبحوا علماء قادرين على حمل الرسالة بأبعادها الدنيوية والأخروية. ومن هذه التحديثات ما يلي:

أ- يتم تدريس القرآن الكريم مع المواد الأخرى مثل السنة، والحديث ،والتوحيد، والسيرة وغيرها. وقد أدخلت بعض المدارس القرآنية المواد الحديثة مثل الرياضيات واللغات. ونجد في بعضها الاهتمام الكبير للذكر وتعليم كتاب المولد البرزنجي بناء على رغبة المدرس والقائمين بأمر المدرسة. بينما اهتمت المدرسة القرآنية التقليدية بتدريس تلاوة وحفظ القرآن الكريم فقط باعتباره العنصر الصحيح والفاعل والوحيد لنقل التعليم الإسلامي وثقافته من جيل إلى جيل. والحقيقة أنه لم تعد الحياة المعاصرة تعتمد على تلاوة وحفظ المتون فقط، بل تجاوزت ذلك إلى أهمية التفسير الصحيح المعقول لمظاهر الحياة اليومية المعقدة وتعليلها أو تحليلها بصورة

منطقية حتى يتسنى للمسلم أن يعيش حياة سعيدة ومتطورة بتطور الأزمنة والأمكنة مع بقاء النمط الإسلامي وثقافته في حياة الفرد والمجتمع المسلم.

ب- تكيفت المناهج والمقررات الدراسية مع أعمار وحاجات ورغبات الطلاب الدارسين فيها. فهناك برامج معلومة لتسجيل الطلاب الجدد، وهناك حصص معلومة، ووقت اللعب والراحة، وتوجد الرياضة، والمسابقات وغيرها. وبهذه التحديثات أصبحت المدارس القرآنية المكان الذي يبني العلاقة بين الحياة النظرية والعملية وبين الحياة الروحية والمادية والدنيوية والأخروية.

وبالاختصار يمكن القول إن أكبر ميزة لمدارس القرآن المتطورة في زنجبار هي تمكنها من إخراج المدارس من العزلة حتى أصبحت المدرسة مكاناً ينعم بالحيوية ويتمتع بالجو العام الذي يهتم بطبيعة الطلاب الدارسيين والذين يتمتعون بالميل للَّعب والحركات.

المبحث الثاني: دور المدارس القرآنية في بناء الثقافة الإسلامية في زنجبار:

نبذة عن تعريف الثقافة الإسلامية:

إن معرفة معنى الثقافة وفهم دلالتها يعد مدخلا أوليا مهما لاستيعاب وإدراك ومعرفة دورالمدارس القرآنية في بناء الثقافة الإسلامية في زنجبار. فالثقافة كمصطلح له تعريفات كثيرة، وقد اختلفت وجهات نظر العلماء والمفكرين في

تعريفه[26] . وبالنظر إلى هذه التعريفات يمكننا أن نستنبط الأسس التالية لمفهوم الثقافة:

الثقافة تصوغ شخصية الفرد وتشكل هوية الأمة؛ أساس الثقافة هو القيم والمبادئ المنبثقة عن العقيدة والفكر؛ الثقافة تغذي في الفرد روح الانتماء وتذكي في الأمة دافع العطاء ؛ الثقافة روح تفاعلية تنقل القيم والمبادئ من الفكر إلى العمل؛ الثقافة إجمالا تشتمل على الجوانب المعنوية والمبادئ والأفكار والقيم المادية والفنون والآداب والمبتكرات.

وبعد الرجوع إلى بعض التعريفات التي ذكرها العلماء القدامى والجدد، وبعد الفحص في أسس مفهوم الثقافة، وبعد النظر إلى أهداف هذه الدراسة يمكن اختيار التعريف الاصطلاحي التالي للثقافة الإسلامية: "جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات والقيم والمبادئ والعادات والأعراف، والفنون والآداب التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام [27a] .

وبعد أن عرض الباحث هذه المقدمة الموجزة يمكن لهذه الدراسة الآن أن تبحث عن دور المدارس القرآنية في بناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا عامة وفي زنجبار خاصة، وذلك باجراء فحص على بعض الأسس التي ينبني عليها مفهوم الثقافة. فهل هناك أدلة قطعية تثبت أن لهذه المدارس دورا في بناء الثقافة الإسلامية في زنجبار؟ تجيب السطور التالية عن هذا السؤال الأساسي.

في مجال بناء العقيدة الإسلامية وإزالة الوثنية:

من المعلوم أنه قبل مجيئ الإسلام إلى زنجبار كان الزنجباريون كباقي سكان دول شرق إفريقيا يدينون بدين الوثنية. فكانوا يعبدون الأرواح الشريرة والأشياء

غير المرئية. وكانوا يعتقدون أن لهذه الآلهة التي كانت تسكن في الأغوار الواسعة الكبيرة التي تغطيها الغابات والأشجارالكثيفية اشتهرت باسم "*مزيمو*" Mzimu جمع Mizimu "*ميزيمو*": كانوا يعتقدون أن لها دورا في جلب المنافع لهم أو دفع المضرة عنهم. فكانوا يحترمونها ويعبدونها بالذبح والتبرك والرقص وطبخ الأطعمة وتوزيع بعضها بين الأهالي ويتركون بعضها للآلهة داخل تلك الغابات. فلم تخل قرية من قرى زنجبار من مكان مخصص لعبادة الأوثان و التبرك والتضرع لآلهتهم. فمن أشهر هذه *الميزيمو* تلك التي تقع في جنوب جزيرة أونغوجا ومنها Mwanampambe معناه "زين الولد" وMwanagoli معناه "الولد والبنت قريبي البلوغ" وKuumbi ومعاناه "المكان المقدس للدعاء" وMweshaka الذي يعني "تقبل الأدعية بدون شك" وChaChoma ويعني "المكان الذي يحرق الأعداء" وغير ذلك من *الميزيمو* التي انتشرت في كل زنجبار.

فحينما جاء الإسلام وجد الناس منهمكين في عبادتهم الوثنية. فلم يكن من السهل أن يقتنع الناس بترك عبادة أجدادهم دفعة واحدة. فكان لزاما على الدعاة أن يبحثوا عن وسيلة مرنة لاقناعهم بالتغير. فكانت المدارس القرآنية من أبرز تلك الوسائل التي لم تأخذ الناس فجأة ولا بقوة إلى الدين الجديد، بل انتقلت معهم بالتدريج الذي بدأ بخلط العبادات في بداية الأمر إلى أن استقر الإسلام في نفوس الناس بعد إزالة الشوائب. ورغم ذلك يوجد بعض الناس إلى يومنا هذا يخلطون بين الإسلام والعبادات الوثنية القديمة. وأظهر مثال لذلك هو ما يحدث في كل نهاية السنة السواحلية في قرية Makunduchi التي تقع في جنوب أنغوجا. فتجد الناس يذهبون إلى المسجد الصغير الذي بني وسط "*مزيمو*"

المسمى Msikiti Kichaka والذي يعني "المسجد الذي في الغابة" فيقرؤون القرآن فيه ويذبحون ويرقصون الرقصة الشيطانية ثم في اليوم التالي يذهبون إلى الميدان المخصص فيتقاتلون فيما بينهم باستخدام العصى التي أبدلتها الحكومة حاليا بجذور أوراق شجرة الموز.

فبمرور الزمن وخاصة من القرن السابع إلى العاشر الميلادي تمكن الدعاة ومدرسو المدارس القرآنية التي انتشرت في المناطق الداخلية لزنجبار أن يغرسوا نواة الإسلام إيماناً وثقافة في قلوب الزنجباريين الأفارقة وغيرهم الذين كانوا يدينون بالوثنية. فنبتت النواة بإذن الله نباتاً حسناً وترامت فروعها إلى أطراف زنجبار كلها، بل وما حولها ، فكانت ثمار ذلك أن وصلت نسبة المسلمين إلى (٩٩%) مما جعل المستعمر يقر ويكتب في قانون زنجبار أن الدين الرسمي في زنجبار هو الإسلام وذلك منذ عام ١٨٩٠م[27b].

في مجال محو الأمية:

لم يعرف الزنجباريون القراءة والكتابة من خلال تاريخهم إلا بعد أن وصل الإسلام إلى زنجبار وافتتحت المدارس القرآنية فيها. فقبلت هذه المدارس الأولاد والبنات إذا بلغوا سن الخامسة فما فوق. واهتمت مناهجها بدراسة الحروف الهجائية ثم تلاوة القرآن ثم إنشاد وحفظ المولد البرزنجي والمدائح النبوية. فبما أن هذه المدارس اتخذت مكانها في المساجد أو في بيوت المعلمين أو المباني الخاصة التي أنشئت لهذا الغرض، كان سهلا على الزنجباريين كبارا وصغارا أن يعرفوا قراءة وكتابة لغاتهم المحلية عامة والسواحلية خاصة بالحروف العربية. فكلما انتشرت المدارس القرآنية ازدادت رغبة الناس في قبول التعلم بالحروف العربية

سواء أكانت لغرض معرفة اللغة العربية أم لاستخدامها في كتابة اللغة السواحلية بهذه الحروف، حتى أصبحت معرفة اللغة العربية ومعرفة استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة السواحلية مطلبا من مطالب الحصول على الإجازة العلمية.

فلم يكن من السهل أن يعتبر الشخص عالما في الدين الإسلامي في شرق أفريقيا عامة وفي زنجبار خاصة إلا إذا كان يعرف اللغة العربية وحروفها في كتابة السواحلية. فأصبحت الحروف العربية واللغة العربية مقياسا لمدى تعمق عالم الدين في علوم دينه أو عدمه. فيطالب هذا العالم بطريق غير مباشر أن يثبت عمليا أنه يجيد فن صياغة الكلمات ويستخدم النحو وباقي فنون اللغة استخداما صحيحا كتابة ونطقا. ويطالب أيضا أن يطبق هذه الفنون أثناء تفسيره للقرآن أوإلقائه للدروس أوالخطب الدينية وغيرها. فأصبحت معرفة اللغة العربية أمرا ضروريا كما يجب على العالم أن يحفظ القرآن الكريم ويحفظ قواعد اللغة العربية. وهذا لأن اللغة العربية هي التي تقوي عالميته أو عدم عالميته. فاستخدم الناس كذلك حروف اللغة العربية لتوثيق علاقاتهم الاجتماعية وشؤونهم التجارية والعلمية كما استخدموها كوعاء لحفظ تراثهم الثقافي والأدبي. فقد استطاع الباحث أن يجد من الشيوخ ومدرسي مدارس القرآن الكريم بعض الوثائق التي طبعت بآلات كاتبة قديمة، كما تمكن من الحصول على بعض المخطوطات القديمة التي كتبت بأيدي الشيوخ وغيرهم من الذين اهتموا بتوثيق ما كان يحدث في أماكن تواجدهم في زنجبار[28].

لقد أستقبلت المدارس القرآنية أحيانا طلاباً جددا من الذين لم تنشأ المدارس القرآنية من أجلهم، وهذا بفضل دراسة محو الأمية والتي كانت توجد في المؤسسات الإسلامية فقط وفي مقدمتها المدارس القرآنية. وهذا هو الوقت الذي

كانت فيه حروف اللغة العربية هي السائدة في كل معاملات الناس في زنجبار وفي بعض مناطق شرق أفريقيا. فاضطر كل الناس حتى الذين كانوا يعادون العربية أن يتقبلوها لكونها لغة التعليم والتجارة والأعمال وغيرها. فقد أجبر الواقع كل مَنْ أراد أن يكون له مكان في المجتمع أو أن يجد وظيفة معتبرة وأن يواكب العالم أن يتعلم حروف اللغة العربية لكي يضمن وسيلة الكسب والارتزاق. ولذلك نجد أن غير المسلمين تعلموها واستخدموها فيما بعد في مصلحتهم وعداوة المسلمين كما حدث في زنجبار حينما استعمل المسيحيون الحروف العربية في أعمالهم التبشيرية منذ عام ١٨٦٠م ثم عام ١٨٦٤م وتمكنوا من ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة السواحلية فكانوا أول من ترجم القرآن إلى هذه اللغة في عام ١٩٢٣[29].

وتمتعت حروف اللغة العربية منذ عام ١٨٧٣م بوجود ملحوظ على الساحة الإعلامية في زنجبار. وهذا بعد أن تبعه فتح المطبعة الآلية التي سميت بالمطبعة السلطانية في عام ١٨٧٩م التي ساهمت بقدر كبير في عملية نشر حروف اللغة العربية واللغة العربية نفسها في شرق أفريقيا. فكانت كتب ديوان أبي مسلم البهلاني، ومنظومة مدارج الكمال، وهيمان الزاد، وإزالة الاعتراض وحاشية الترتيب، وقاموس الشريعة ومختصر الخصال وجامع البسوي من أوائل الكتب التي طبعت في المطبعة[30].

وتم إصدار جرائد بالحروف العربية باللغة السواحلية أو العربية في زنجبار منذ عام (١٩١١م) وذلك مثل جريدة النجاح (١٩١١م) وحزب الإصلاح (١٩٢٣م)، وجريدة الإسلام وجريدة الفلق (١٩٢٠م)، والمرشد (١٩٤٥م)، والنهضة (١٩٤٩م)، والأمة (١٩٥٨م). وطبعت المناهج الدراسية

لتدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية في المدارس الحكومية وذلك مثل كتاب الآيات القرآنية (Aya za Qur'ani) والرسالة الجامعة[31].

في مجال الدعوة ونشر الإسلام:

يمكن أن يقسم تاريخ عمل المدارس القرآنية في زنجبار إلى ثلاث مراحل أساسية حسب انتشارها ونموها وعملها فيها. ويمكن تسمية هذه المراحل بمرحلة الدخول والثبات، ومرحلة الركود، ومرحلة النهضة. فمرحلة الدخول والثبات هي التي بدأت مع دخول الإسلام في زنجبار وانتشاره إلى مناطق أخرى من شرق إفريقيا إلى أن سقطت سلطنة زنجبار في عام ١٩٦٤م نتيجة الانقلاب الذي قام به حزب الأفارقة والشيرازيين على الحكومة الوطنية المنتخبة في ديسيمبر ١٩٦٣م. ويعتبر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشريين منها عصرا ذهبيا حيث بلغت المدارس القرآنية فيه أوج ازدهارها وانتشارها وأثرها وشهدت زنجبار في هذا العهد خروج وفود من العلماء الذين تربوا وتخرجوا في المدارس القرآنية من زنجبار وذهابهم إلى مناطق أخرى لشرق إفريقيا وغرب إفريقيا وجنوب شرق آسيا لنشر القرآن والعلوم الإسلامية فيها. وبدأ هؤلاء العلماء رحلاتهم التي اهتمت بنشر الإسلام والقرآن كما نقلوها من المدارس القرآنية ومن الدروس الإضافية بعد تخرجهم من المدارس باتجاههم إلى المناطق الساحلية أولا ثم انتقل بعضهم من الموانئ الساحلية البحرية إلى المناطق الداخلية لشرق ووسط إفريقيا والعالم في شكل مجموعات كما يلي:

المجموعة الأولى:

تم انتقال المجموعة الأولى من جزيرة زنجبار إلى ممباسا وماليندي ثم اتجه إلى شرق أوغندا ثم إلى بلاد البحيرات العظمى. وقد تمكن هؤلاء العلماء بعد سنين من نشر القرآن والثقافة الإسلامية واللغة العربية في أوغندا حتى أصبحت العربية إحدى اللغات المهمة المستعملة في الأسواق التجارية في مدن سواحل بحيرة فكتورية التي ازدهرت بفعل النشاط التجاري. وتؤكد المصادر التاريخية التي اطلع عليها الباحث أنه قد انتشرت المدارس القرآنية انتشارا واسعا، وأنشئت زوايا الطرق الصوفية القادرية. واكتسبت اللغة العربية بعدا سياسيا عندما اعتنق الملك سونا ١٨٣٢ – ١٨٥٦م وملك موتيسا ١٨٥٦ – ١٨٨٤م الإسلام واتخذاها لغة المراسلات والتدوين لمملكتة أوغندا. وتعد فترة الملك سونا بحق الفترة الذهبية للإسلام واللغة العربية، فقد قفزت اللغة العربية قفزا ملموسا إذ أصبحت اللغة المسيطرة على الحقل الديني، كما باتت تشارك لغة بغندا (أكبر قبيلة في أوغندا) واللغات الأوغندية الأخرى في الجوانب السياسية والاقتصادية. والأمر الآخر الذي قدمته المدارس القرآنية والذي لا يقدر بثمن هو الحرف العربي. فبفضل الكتابة استطاع ملوك أوغندا أن ينظموا شؤون ممالكهم السياسية والاقتصادية فضلا عن دورها العظيم في رفع عمامة الجهل والأمية [32].

المجموعة الثانية:

غادرت هذه المجموعة من العلماء زنجبار أيضا واتجهت إلى الموانئ التي تقابلها في مناطق البر الإفريقي ثم اتجهت إلى المناطق الداخلية لإفريقيا. فقامت من زنجبار ووصلت إلى بغامويو "Bagamoyo" ثم اتجهت إلى تابورا "Tabora" وأجيجى "Ujiji" ووصلت إلى كونغو "Congo". وقد تم نشر القرآن الكريم والعلوم

الإسلامية و اللغة العربية في هذه المدن التي دخل الإسلام فيها قبل عام ١٨٣٠م. وقد اشتهرت تلك المدن بمساجدها و مدارسها القرآنية وعلمائها الأجلاء. وكان الشيخ ثني بن أمين من الدعاة المشهورين للإسلام وللغة العربية بين تابورا وكمبالا في أوغندا [33].

وكان الشيخ حسن بن أمير الشيرازي الذي بدأ دراسته من مدرسة قرآنية تحت أيدي معلمه الشيخ مجعليوه "Majaaliwa" من قرية "Makunduchi" التي ولد فيها خير مثال للعلماء الذين انضموا إلى هذه المجموعة. وصل الشيخ حسن بن عمير إلى مناطق بروندي وكنغو واتخذ مدينة بوجومبورا "Bujumbura" مقرا لدعوته ولنشر الإسلام واللغة العربية فيها. وذكر الشيخ لطلابه أن الله مكنه من أن يسلم على يديه سبعة ملايين شخص! حتى إن حكومة بلجيكا التي كانت تستعمر هذه المناطق أجبرته على ترك عمله الدعوي والرجوع إلى بلده زنجبار.[34] وحين رجوعه إلى زنجبار استقر في تنغانيقا "Tanganyika" وأسس جمعية الدعوة الإسلامية عام ١٩٤٣م وشارك في تأسيس جمعية مسلمي شرق أفريقيا التي تعتني برعاية أحوال المسلمين "East African Muslim Welfare Society -EAMWS" حتى لُقِب باسم "فخر الإسلام في شرق إفريقيا "The Pride of Islam in East Africa" [35].

وقد اتجه بعض شيوخ وعلماء هذه المجموعة بعد قيامهم من زنجبار إلى كلوة "Kilwa" ثم إلى جنوب تنغانيقا وصولا إلى شمال موزمبيق وملاوي. ويفتخر الملاويون إلى يومنا هذا بأنهم عرفوا القرآن الكريم والدين الإسلامي واللغة العربية من علماء زنجبار. وما هؤلاء العلماء إلا الذين تخرجوا من المدارس القرآنية أولا وتعلموا منها مبادئ أساسية للقرآن والدين والأخلاق والذكر والتوحيد وغيرها من

الفنون الدينية واللغوية التي أعطتهم الجرأة الأولى التي ساهمت في تمكنهم من عملهم الدعوي[36].

المجموعة الثالثة:

اتجه هذا الوفد إلى جنوب إفريقيا بمهمة دعوية خاصة حيث في عام ١٩٠٧م أرسل قاضي قضاة زنجبار الشيخ أحمد بن سميط، الشيخ عبدالله باكثير والشيخ محمد بن عمر، والشيخ سعيد دهمان إلى جنوب إفريقيا ليقوموا بالصلح بين مجموعات المسلمين المتخاصمة في مدينة داربان "Durban". ومكث الوفد هناك شهورا بعد أن أقاموا صلحا، وكانوا يمارسون عمل تدريس القرآن والدين واللغة العربية ويدربون أئمة المساجد. ولما قرروا الرجوع إلى زنجبار جمع أهل داربان هدايا لضيوفهم ولكنهم لم يأخذوها وأمروا ببناء المسجد فبني وسمي بمسجد باكثير.

المجموعة الرابعة:

لم يقتصر دورالمدارس القرآنية في زنجبار على نشر القرآن الكريم وبناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا ووسطها وجنوبها فحسب، بل تجاوز حدود إفريقيا ليصل إلى المجالس والمحافل العالمية. كان شيخ الأزهر الشربيني (١٩٠٥) يذكر زنجبار كثيرا بكثرة مدارسها القرآنية وعلمائها ومجهوداتهم في نشر ثقافة الإسلامية والعربية في المنطقة.

وفي عام ١٨٧٧م تم استقبال وفد علماء زنجبار الذين زاروا الحجاز بحفاوة وشرف من قبل والي الحجاز خالد الباشا. ودفع بيت مال الحجاز جميع تكاليف المصروفات المالية للوفد مقابل زيارتهم ومكثهم هناك. ولم تفعل الحجاز ذلك إلا

احتراما لدور علماء زنجبار في نشر الدين والثقافة الإسلامية واللغة العربية في العالم حيث تم إدخال بعض كتب الدين التي ألفها علماء زنجبار باللغة العربية وأشهرها كتاب رسالة التوحيد إلى المناهج الدراسية لدول العالم وخاصة دول شرق آسيا كإندونيسيا وبرناي "Burnei" ودول شرق إفريقيا كأوغندا وغرب إفريقيا كغامبيا "Gambia" [37]، وقد أتيح للباحث فرصة رؤية بعض الرسالات التي كانت ترسل بين حكومات هذه الدول تطلب من زنجبار أن ترسل إليهم العلماء والمناهج الدراسية للعلوم الإسلامية التي ألفها علماء زنجباريون.

وقام علماء من زنجبار عام ١٨٨٠م بقيادة قاضي قضاة زنجبار الشيخ أحمد بن سميط بزيارة الإستنمبول عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانية ليعقد مع مفتي العثمانية السيد فضل الاتفاق التعاوني بين الدولتين بما يخص توطيد العلاقات وخاصة في سبيل نشر الثقافة الإسلامية والدين واللغة العربية في الأنحاء المختلفة من العالم. وعند رجوع هذا الوفد مر بالقاهرة وعقد اتفاقا مماثلا مع علماء مصر ومنهم الشيخ محمد عبده[38].

في مجالات الظواهر الاجتماعية:

لعبت المدارس القرآنية دورا بارزا في توثيق العلاقات الاجتماعية بين جميع الناس في المجتمع. فكانت مراكز يجتمع فيها الناس للقيام ببعض واجباتهم الدينية مثل الاحتفال بالمولد النبوي وتدريب الدارسين على إجادة الأذكار التي تستخدم في الذكر القادري والعلوي وفي عقود الزواج وغيرها من النشاطات الدينية. وبهذه العلاقة الوطيدة بين المدارس القرآنية والمجتمع

تمكنت الأولى أن تلعب دورا بارزا حتى أثرت على الثاني والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ) اللغة:

تأتي اللغة في مقدمة مجالات الظواهر الاجتماعية التي تظهر دور تأثير المدارس القرآنية فيها في شرق إفريقيا عامة وفي زنجبار خاصة. فلقد استطاعت المدارس القرآنية بسبب قربها من طلابها في أطول زمن وبسبب قربها من آباء الطلاب في معظم المناسبات الاجتماعية وبكونها المؤسسات التعليمية المباشرة في المجتمع أن تلعب دوراً رائداً في تطوير اللغات المحلية وخاصة اللغة السواحلية التي انتشرت في المنطقة انتشارا واسعا.

مما لاشك فيه أن اللغة العربية التي كانت تدرس في المدارس القرآنية بشكل مباشر أو غير مباشر أثرت كثيرا على اللغة السواحلية نتيجة التزاوج بين الثقافتين العربية والمحلية الإفريقية التي وجدت أصلا في زنجبار. فليس معنى هذا أن اللغة السواحلية ظهرت بظهور الإسلام ومدارس القرآن في المنطقة بل يرجع تاريخها منذ أن وجدت العلاقة بين العرب وسكان المنطقة. فنجد لفظ السواحلي نفسه مشتق من اللفظ العربي سواحل جمع ساحل. ومعنى السواحلي هنا سكان السواحل "Waswahili"، ويقصد بها السواحل الشرقية الإفريقية. وهم خليط بين السكان المحليين والمهاجرين من الجزيرة العربية وأغلبهم من العرب. هذا في بداية أمرها، أما في الوقت الحاضر فلم تنحصر اللغة السواحلية في ساحل شرق إفريقيا أو بين السواحليين فحسب، بل هي لغة إفريقية وعالمية. استعارت اللغة السواحلية الكثير من ألفاظ اللغة العربية. فلا يوجد مجال من مجالات الحياة الدنيوية أو

الأخروية ولا العامة ولا الخاصة إلا وقد تأثرت اللغة السواحلية فيها باللغة العربية بفضل تعليم هذه اللغة في المدارس القرآنية أو في الأسواق ومن خلال المعاملات الاجتماعية والدينية وغيرها. وأمثلة تلك الكلمات كثيرة منها: الكلمات العامة مثل "Okota" من أصل كلمة لقط، Shika من كلمة امسك، fujo من فجور أو فوضى. ومن الكلمات "Rafiki" من رفيق، "Damu" من دم و"nafuu" من نفع. وأما الكلمات الاقتصادية فمنها كلمة "Biashara" من بيع/وشراء وكلمة "Faida" من فائدة، و"Hasara" من خسارة، و"Mali" من مال، و"Soko" من سوق، و"Fedha" من فضة، و"Rahisi" من رخيص، و "Ghali" من غال وغيرها من الكلمات الاقتصادية كثيرة. أما كلمات الدين والعبادة فمنها كلمة Swala من صلاة، و Saumu من صوم، و"Malaika" من ملائكة، و"Halali" من حلال، و"Riziki" من رزق، و"Dua" من دعاء و"Thawabu" من ثواب، و"Dhambi" من ذنب، و"Baraka" من بركة، و"Ibada" من عبادة وكلمات أخرى كثيرة. وهناك كلمات في المجتمع والإدارة والتعليم وفي الأدب والثقافة والمجال اللغوي كاستخدام الروابط اللغوية، والزمن، وغيرها [39]

ب) تسمية أسماء الناس والأماكن:

بقي سكان زنجبار وثنيين إلى أن جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي. فكانت ثقافتهم قبل ذلك تتبع من الاعتقاد الوثني الذي أثر في جميع شؤونهم الدنيوية والأخروية. فلم يسلم مجال تسمية أولادهم وبناتهم من هذه المعتقدات. فقد اتخذوا الأسماء التي تناسب بيئتهم واعتقاداتهم. فبما أنهم لم يعلموا شيئا عن الحياة العليا فاتخذوا الأسماء التي توجد أو تتعلق بالحياة التي عندهم في الحياة الأرضية.

فاستخدموا أسماء الجمادات والأشجار والظواهر الطبيعية التي لها مدلولات معينة جميلة أو سيئة ولها من قوة وفائدة أو مضرة في حياتهم اليومية. فاستخدموا تلك الأسماء التقليدية ولم يبدلوها إلا بعد أن جاء الإسلام وانتشرت المدارس القرآنية في كل ربوع زنجبار. وفيما يلي مثال لأسمائهم التقليدية التى كانوا يسمون بها قبل أن يتأثروا بتعاليم الإسلام حول أفضل الأسماء. ولا شك أن بداية معرفتهم الأساسية للأسماء الجديدة الإسلامية تلقوها من المدارس القرآنية أو من معلميها الذين حملوا راية الدعوة الإسلامية ورسالة التغيير الإجتماعية. وفيما يلي مثال لتلك الأسماء التقليدية ومعانيها.

الإسم	الجنس	معناه
Choko / Mbaazi / Kunde	ذكر (ذ)	أنواع مختلفة من الفاصولية
Chungua	ذ	ابحث، لاحظ
Dago	أنثى (أ)	انتظار زمن طويل
Dubwana / Dude	ذ	شيئ لا فائدة فيه
Hodi	أ + ذ	طلب إذن بالدخول
Mgeni	أ + ذ	ضيف
Kibabu	ذ	الجد الصغير

الإسم	الجنس	معناه
Kibibi	أ	الجدة الصغيرة
Kificho	ذ	اختفاء
Kichome / Choma	ذ	احرق
Kidume	ذ	الرجل الصغير
Kijiti	ذ	عصى صغيرة
Kidaku	أ	وسط الليل
Kijiba	ذ	شوكة صغيرة
Kijibwe / Kijiwe	ذ	الحجر الصغير
Kikuni	ذ	الحطب
Kinama	أ	منحنية
Kishuke	ذ	سنبلة
Kinyaka	أ	أخذت
Kipacho	ذ	التصق
Kona	أ	نظر

الإسم	الجنس	معناه
Mboja	أ	واحدة
Mjinga / Pope	أ	جاهل
Mwaka	أ	السنة
Mtumwa	أ + ذ	عبد / مملوك
Njanae	أ	جئت معها
Nyezuma	أ	خلف
Sinapo	ذ	ليس لدي مكان
Sina	أ	ليس لدي شيئ جميل
Siyenu / Siyangu	أ	ليس لكم / ليس لي
Uchanja	أ	لا يستقر في مكان واحد
Upondo	ذ	العصى الذي يدفع القارب
Chenu	أ	لكم
Chema	أ	جميلة

ولم تتغير هذه الأسماء دفعة واحدة بل بالتدرج لأن بعضها كانت تتعلق بالآلهة وبعض الناس وجدوها في أماكن العبادة التقليدية Mizimu. فقد تغيرت بعض الأسماء إلى أسماء أو تسميات عربية إسلامية مع بقاء معناها وذلك مثل:

الإسم التقليدي / السواحلي	معناه	الإسم الإسلامي / العربي
Chausiku	جاءت في الليل	الليل: Laila, Lela
Mzuri	جميل	جميل، جميلة: Jamila, Jamali
Mcha	الذي يعبد	العبد، موسى: Mussa, Abdu
Pendo / Mpenzi	حب / محب	حبيبة ، محبوبة: Habiba
Maua	زهرة / وردة	وردة: Zahara, Warda

وقد تم التأثير الكامل على مجال تسمية أسماء الناس بعد أن انتشرت المدارس القرآنية ووسعت نشاطاتها وأصبحت هي والمساجد تسيطران وترشدان كل مجالات الحياة اليومية والدنيوية. فقد تغيرت الأسماء السواحلية والتقليدية للناس حاليا فأصبحوا يتسابقون في إيجاد الأسماء التي تعتبر من الكتاب كما يقولون لشيوخهم حينما يرزق أحدهم بالطفل: "اختر له / لها اسم من الكتاب" "Mchagulie jina la Kitabuni" والكتاب هنا يعني القرآن الكريم.

فتجد الأسماء مثل عبداللطيف، وعبدالكريم، وعمران، وذوالكفل، وزينب، وفرحة، عائشة الخ.

وكثر هذا التأثير حتى غيرت أسماء المدارس القرآنية نفسها. فلم تعد تجد الآن مدرسة قرآنية باسم معلميها أو القرية التي توجد فيها مثل "مدرسة معلم مجعليوا" أو "مدرسة باكثير" أو مدرسة الشيخ أمير تاجو، أو مدرسة أوزي، بل تجد الأسماء الإسلامية العربية للمدارس القرآنية مثل المدرسة الشيرازية، ومدرسة النور، ومدرسة الشافعية وغيرها. وقد تجاوزت هذا التأثير كذلك إلى تسمية المساجد. فلم يعد يسمى أي مسجد باسم القرية أو المكان الذي يوجد فيه، بل لكل مسجد اسم إسلامي خاص به مثل مسجد التوحيد، ومسجد السلام ومسجد التوبة وغيرها من أسماء المساجد.

ويعود فضل كل هذا التغيير إلى التعليم الذي وجده الأهالي بدءا من المؤسسة الأولية لتعليم الدين الإسلامي وثقافته ومبادئ اللغة العربية وعلوم أخرى والفنون المختلفة التي تقود إلى تطبيق الحياة الإسلامية في حياتهم اليومية.

ج) الأخلاق العامة من الملبس والمأكل:

تؤكد نتائج الدراسات التي أجريت في زنجبار أن الإسلام دخل فيها بطرق سلمية. ولقد قابله الأهالي بصدور رحبة فضلا عن كونهم في بداية الأمر لم يكونوا مسلمين بعد. وترجع الدراسات سبب هذا الإقبال الكبير إلى العنصر الأخلاقي للدعاة ولمعلمي المدارس القرآنية. تقول إحدى هذه الدراسات "إن الإسلام دخل في زنجبار بعد وصول المهاجرين والتجار من الجزيرة العربية وفارس ولم يلبث

أن انتشرت ثقافته خطوة بعد أخرى في المجتمع الزنجباري . هذا الانتشار لم يكن حربياً ولم يكن وراءه أي نوع من العنف، وإنما كان انتشاراً سلمياً. فلم يجد المهاجرون من الذين تبوأوا الدار من قبلهم إلا الحب والترحيب الجميل"[40]. ولعل هذا الإنجاز العجيب لأولئك الدعاة الأوائل مرجعه هو التفوق الأخلاقي لهم وكذلك طبيعة الثقافة الإسلامية. فقد كانوا نماذج يقتدى بها في ناحية الثقافة والأخلاق ، فكان اعتناق الإفريقي للإسلام مفخرةً ، فهو دين النظام والصدق والأمانة وحسن الخلق. أما طبيعة الثقافة الإسلامية فإنها تتماشى مع العرف المحلي والتقاليد المحلية وتتفاعل معها وتمتزج بها بشرط عدم كونها معارضة للشريعة الإسلامية.

وتوضح دراسة أخرى بقولها "والراجح أن الطريق أمام هذا المد الثقافي لم يكن ممهداً فقد جابهت الثقافات المحلية التقليدية والموروثة للسكان الأفارقة المقيمين بالمنطقة، فبرزت إشكاليات التلاقح والملائمة والامتزاج والالتقاء ما بين هاتين الثقافتين الوافدة من جهات شبه الجزيرة العربية والمستقرة بالمناطق الداخلية في إفريقيا"[41].

ولعل هذا الباحث يضعنا على حقيقة كانت موجودة في بداية أمر الدعوة حينما كان الدين الإسلامي غريبا عن المواطنين. وأما غير ذلك فكانت نتيجة هذا الانصهار واضحة وهي إيجاد ثقافة جديدة ذات ملامح عربية وأفريقية مشتركة على الساحل الإفريقي والتي تدين بالإسلام ويؤمن بها (٩٩%) من سكان زنجبار.

ولا تستبعد الدراسة الحالية حدوث بعض إشكاليات وعوائق من خلال مرور المجتمع الزنجباري في طور أسلمة الثقافة التي لا شك أنها كان لزاما على المجتمع أن يغير بعض مفاهيمه وتقاليده. وقد استطاع الإسلام أن يتجاوز هذه

المرحلة بنجاح وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة ويظهر ذلك بوضوح من خلال الأخلاق العامة والخاصة من الملبس والمأكل ومثال ذلك ما يلي:

تثبت الدراسات التاريخية أن ملبس الزنجباريين لم يكن كما نراه اليوم. بل كان الرجل يلبس قطعة واحدة فقط من قماش أبيض يربطها على سرته وتعرف باسم "Shuka" أو إزار باللغة العربية. أما المرأة فكانت تلبس قطعة واحدة كذلك ولكنها أطول مقارنة بما عند الرجل وكان لونها أسود يسمى "Kaniki" وكانت المرأة تربطها على صدرها دون أن تغطي شعرها و كتفيها. وبمرور زمن الدعوة والإرشاد والدراسات في المدارس القرآنية وفي المساجد أصبح الناس يتغيرون قليلا قليلا في ملابسهم نحو الوضع الأحسن. فبدأ الرجال يلبسون كما يلبس معلمو المدارس القرآنية الذين لبسوا جلابية وإزاراً وكوفية أو عمامة مع جبة في بعض الأوقات. ولبست النساء كما تلبس زوجات المعلمين من قميص طويل يغطي جميع الجسد ويلبسن فوقه الخمار أو اللبس الأسود والذي يسمي "Buibui" أو بأخرى ملونة تسمى "Kanga". وكان المجتمع يتعود هذا الوضع الجديد للباس بالتدرج حتى اشتهر اسم "Mstaarabu" والذي لغويا يعني الشخص الذي أصبح كالعرب ويعني في الاصطلاح الشخص المتحضر. ولغرس قيم الملابس الإسلامية بين أبناء المجتمع عمدت المدارس القرآنية المتطورة وشبه المتطورة في زنجبار لابتكار الملابس المدرسية للأولاد والبنات. وقد ساهمت هذه الملابس في بناء العادة الحسنة للباس الناس في المجتمع. فلم تعد تشاهد من يلبس خلاف الملابس الإسلامية إلا الأجانب أو بعض الزنجباريين الذين أثرت فيهم الثقافة الغربية والعولمة غير الموجهة. وتوجد بعض الوثائق والصور التي تظهر المراحل التي مر بها المجتمع

الزنجباري من خلال تطوره من الملابس التقليدية غير الإسلامية إلى الملابس الإسلامية كما نراه اليوم[42] .

أما ما يتعلق بالمأكل فمن المعروف أن الوثنيين ليس لديهم حدود في مأكلهم. فلا يهتمون بنوع المأكولات كما لا يتقيدون بأي شرط من الشروط التي تتعلق بالحلال أو الحرام، أو بالذبح، أو بأكل الحي أو الميت، أو بأكل المطبوخ أو النيئ وغير ذلك من الأمور الفقهية التي تتعلق بالأكل أو الشرب أو الذبح. فلم يكن الزنجباريون الذين عاشوا قبل الإسلام يذبحون حيواناتهم الذين اتخذوها قربانا لآلهاتهم أو ذبحوها لأجلهم. فكانوا يشربون الدم خاصة حينما يدخلون في رقصاتهم الشيطانية كما يشربون الخمور في وقت ترفيههم وراحتهم. هكذا كانت زنجبار قبل أن ينتشر ألإسلام وتعم المدارس القرآنية بتعاليمها الأهالي. فبعد أن جاء الإسلام، كانت المدارس القرآنية تحتفل بالمولد النبوي سنويا، وكانت تذبح الأبقار بطريقة إسلامية كما كانت تذبح عند موسم الذكر والأذكار. فكان ذلك علم يتعلم الناس من خلاله عمليا ما يتعلق بالذبح والمأكل. وقد نبه بعض الشيوخ الباحث أنه كان يوجد بعض الناس الذين كانوا معروفين باسم ذباح القرية أو طباخها لكل من له حفلة أو عرس أو عزاء أن يتقدم بطلبه[43].

هكذا لعبت المدارس القرآنية في زنجبار دورها في بناء الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا عامة وفي زنجبار خاصة. ولم يعد هناك مجال من المجالات المعرفية والعلوم الإسلامية إلا تطرقت المدارس القرآنية إليه لغرض بناء ونشر الإسلام والقرآن والثقافة الإسلامية في المنطقة. فهناك شواهد واضحة أن المدارس القرآنية بنت للزنجباريين الأسس الاقتصادية والزراعية والتجارية

والعلاقات الاجتماعية وغيرها مما لم تتطرق لها هذه الدراسة، بل تركت مجالا للباحثين الآخرين أن يدلوا بدلوهم في بحث عن هذه المواضيع لما لها من أهمية في توثيق التاريخ الإسلامي والقرآن والمدارس القرآنية والثقافة الإسلامية في شرق أفريقيا وفي زنجبار.

الخاتمة:

تبين من خلال هذه الدراسة أن علاقة الإسلام بشرق إفريقيا أزلية وخاصة زنجبار وقويت منذ أن أدخله المهاجرون من الجزيرة العربية منذ القرن السابع الميلادي. وقد نشطت هذه العلاقة بفتح المؤسسات التعليمية والتثقيفية الإسلامية كمساجد ومدارس قرآنية فيها. واستطاعت المدارس القرآنية أن تنتشر بعمق في كل المنطقة حتى أصبحت هي المسيطرة على المنطقة من الناحية التعليمية والتثقيفية قبل أن تظهر الحركات الاستعمارية والتبشيرية فيها. ولم تبق مدينة ساحلية في ذلك الوقت إلا وانتشرت فيها واستعملها الأهالي كمراكز للعلم والتوجيه والتثقيف والتنوير لجميع معاملاتهم الدينية والتجارية والاجتماعية والإدارية وغيرها. وتمكنت المدارس القرآنية أن تنشر العلوم والثقافة الإسلامية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية حتى أصبحت وعاء تحفظ التراث الإسلامي لكونها استطاعت أن تكون لغة التعليم ولغة الكتابة والخطابة.

وأظهرت الدراسة كذلك أن طريق انتشار هذه المدارس لم يكن سهلاً وخاصة بعد وصول المستعمرين والمبشرين في زنجبار ودخولهم في

المناطق الداخلية لشرق إفريقيا. حيث حاولوا محو المدارس القرآنية واللغة العربية وحروفها بإزالة أثرها وأثر الثقافة الإسلامية بواسائل جذابة مرة وبالقوة مرة أخرى كما فعلت بعض الحكومات الاستقلالية في المنطقة.

ولكن الله يأبى كيد الكائدين فنصر المدارس القرآنية ورسالاتها حتى وصلت من زنجبار إلى مناطق أخرى من العالم وذلك مثل بعض دول غرب إفريقيا ودول شرق آسيا. واستطاعت المدارس القرآنية في زنجبار أن تواكب الزمن حيث كانت تتطور بتطورالعالم الذي حولها. فظهرت المدارس القرآن التقليدية وشبه التقليدية والمتطورة دون أن تفقد دورها المنوط بها في المجتمع.

وبالرغم من وجود الفروق في الإمكانات بين المدارس القرآنية والمؤسسات التعليمية والتثقيفية الأوربية والغربية التي تهدف عمدا إلى إضعاف المداس القرآنية، إلا أن الباحث لم يزل يشاهد تفوق المدارس القرآنية إذ إن أثرها وانتشارها يسير بصورة طبيعية لأنها تنبع من منابع الإيمان بالإسلام. فهي باقية تنموا وتزدهر رغم مواجهتها بحملات جديدة تقوم عليها بعض المؤسسات الداخلية والأجنبية من دول شرق إفريقيا وأوربا وأمريكا بدعوى تطوير المؤسسات التعليمية لتواكب التطور العالمي ومطلوبات العلم والعولمة كالاهتمام بحاجات الأطفال وحقوق الإنسان. فيحاولون عن طريق الحكومة أن يفرضوا إدخال بعض التعديلات التي إذا طبقت قد تؤثر سلبا على الدور الذي تلعبه هذه المدارس وذلك مثل منع معاقبة الطلاب وغيره.

فهل تأبى المدارس القرآنية إلا أن تلعب دورها الريادي في تعليم وتثقيف المجتمع وإعداد الدعاة والمعلمين وأن تحافظ على الإنجازات التي تراكمت من

خلال مسيرتها الطويلة لنشر الإسلام وبناء الثقافة الإسلامية في المنطقة؟ يقترح الباحث أن تجيب البحوث القادمة عن هذا السؤال إن شاء الله.

الهوامش المرجعية:

[١]– سلطان محمد القاسمي (١٩٨٩) ، تقسيم الأمبراطورية العمانية ١٨٥٦ – ١٨٦٢، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة، ط١، ، دبي، ١١

[2]- B.G. Martin (1971), Notes on some members of the learned classes of Zanzibar and East Africa, p. 25 - 45

[٣]– العلاقات العربية الإفريقية: دراسات تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ص١٦.

[٤]– سيف الإسلام بدويشير (٢٠١٠)، جذور التراث الثقافي ودوره بالساحل الشرقي لإفريقيا، قسم التاريخ، كلية الآداب – والباحث بمركز أبحاث حوض النيل

[٥]– حمدي السيد (١٩٥٠)، الصومال، القاهرة ص٢٤٩.

[6]- G. Thomas Burgess (2009), Race , Revolution, and struggle for human rights in Zanzibar, The memoirs of Ali Sultani Issa & Seif Sharif Hamad, Ohio University Press, USA

[7]- Benyan S. Turki (1987), British policy and Education in Zanzibar 1980-1943, Thesis submitted to the University of Exeter for the degree of Doctor of Philosophy in History in the Faculty of Arts, 6.

[8]- L.W. Hollings worth (1953), Zanzibar under Foreign Office 1890-1913, Macmillan & Co. Ltd, London, 47

[9]- Abdulla Talib Abdulla & Ust. Ugoda (2006), Report of a survey concerning the introduction of common syllabus for all Zanzibar Madrassa, Zanzibar

[10]- Roman Loimeier (2009), Between Social Skills and Marketable Skills; The Politics of Islamic Education in 20th Century Zanzibar, Netherland,

[11]- ZNA, AB1/390: Religious Instruction Dole

[12]- AD3/8: Report on the Syllabus and Teaching of the Koran and Diana

[13]- Zanzibar Department of Education Report for the Triennium, 1961-1963

[14]- Amina A. Issa (2003), the transmission of Islamic knowledge in Ng'ambo and rural areas of Zanzibar 19th – 20th Century, paper presented at the Conference on "The Global Worlds of the Swahili, Zanzibar, 2003.

[15]- Sayyid Omar Abdallah (1958), Proceedings of Conference on Muslim Education, 23

[16]- … (1956), Proceedings of Conference on Muslim Education

[17]- ibid

[18]- Zanzibar Department of Education Report for 1936

[19]- Zanzibar Protectorate Annual Report (1940)

[20]- Zanzibar Department of Education Report for 1942

[21]- Interview with Mwalimu Idrisa, Head of Zanzibar Islamic Heritage (September 2011)

[22]- Benyan S. Turki (1987), 77.

[23]- L.W. Hollings worth (1953), 51

[24]- Abdulla Talib Abdulla & Ust. Ugoda (2006), 9.

[25]- Benyan S. Turki (1987), 79

[26]- www.alukah.net/culture, د. ناصر بن عبدالرحمن اليحيى

[27a]- http://forum.moe.gov.om

[27b]- A guide to Zanzibar (1961), iii

[28]- Shaykh Ali bin Haji and Shaykh Teketeke files

[29]- Ziddy Issa (2011), Development of Quranic Education in Zanzibar in the 19th to the first half of the 20th century, 31

[30]- Mahroki (2010) 6/3, http://pulpit

[31]- Ziddy Issa (2011), Lugha ya Kiarabu Zanzibar; Historian a Mbinu za Usomeshaji, 49 – 50

٣٢- إبراهيم علي سالي (٢٠٠٦)، في الإسلام في إفريقيا، وضع اللغة العربية في المؤسسات الحكومية في يوغندا، دار جامعة إفريقيا للطباعة، الخرطوم ص. ١٦٩

[33]- Purpura A. (1997), the social relations of Islamic expertise in Zanzibar town, PhD thesis, The City University of New York, 36

[34]- Ziddy Issa (2002), Historia na Maisha ya Sheikh Hassan bin Ameir Shirazi, Express Printing Press, Zanzibar, 25

[35]- Souvenir of the activities of ten years of the EAMWS (1954), Fort Jesus, Mombasa, Kenya, 52

[36]-Abdalla Saleh Farsy, Baadhi ya Wanavyuoni wa Kishafi wa Mashariki ya Afrika, Mombasa, 1972

[37]- AD20/62: Teachers

[٣٨]- عيسى زيدي (٢٠٠١)، أثر منهج التربية الإسلامية علي طلاب المرحلة الثانوية في زنجبار بين ١٩٦٤– ١٩٩٩، بحث مقدم لنيل درجة الدكتورة في المناهج وطرق التدريس، جامعة إفريقيا العالمية، السودان.

[39]- Ziddy Issa (2011), Lugha ya Kiarabu Zanzibar; 73 – 83.

[٤٠]- سالم خميس محمد الزنجباري (٢٠١٠)، دخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في زنجبار، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

[41]– سيف الإسلام بدوي بشير (٢٠١٠).

[42]- www.zanzinet.net